السحر

المبحث الأول: الأدلة على حقيقة السحر من القرآن والسنة.

المبحث الثاني: الرد على الشبهات حول حديث عائشة ﵂ في سحر النبي ﷺ.

المبحث الثالث: الرد على الشبهات المتعلقة بإنكار السحر عموماً، وسحر النبي ﷺ خصوصاً

أولاً: السحر وحقيقته، والرد على المنكرين.

ثانياً: المعنى الإجمالي لحديث عائشة.

ثالثاً: حقيقة تلبس الجن بالإنسان. ،كل الأمراض النفسية وجد لها علاج إلا بعضها وهو القليل.

رابعاً: كون سحر النبي ﷺ يتنافى مع عصمته ﷺ.

خامساً: سحر النبي ﷺ يؤثر على الوحي والنبوة.

المبحث الأول: الأدلة على حقيقة السحر من القرآن والسنة.

من عقيدة المسلم والتي أمرَ اللهُ الإيمانَ بها، الإيمان بالغيب، وهذا مما اتفق عليه من يعتد به من المسلمين، وأن الذي يميز الانسان عن عالم الحيوان وينقله من عالم المادة المحض إلى عالم الانسان المتبع المتفكر المتأمل هو الإيمان بكل ما أخبر الله ﷻ عنه من أمور الغيب، ذلك أن قدرات الإنسان في مقابل هذا الكون الفسيح لا شيء يذكر، فكيف به أمام عظمة الخالق سبحانه، ومظاهر قدرته العظيمة في هذا الكون من أرض وسماوات وما فيهما وما بينهما، مخلوقة بدقة واتقان.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى أمور الغيب مغيبة عن الناس، وما سمي غيباً إلا لغيابه عن الناس وعدم ادراكهم له إلا بواسطة الوحي.

ومن تلك الأمور الغيبية التي أخبر عنها ﷻ عالم الجن والشياطين، وما يتعلق بهما من سحر وتلبس وغيرها.

ومن ذلك تضافر الأدلة الكثيرة جداً على اثبات حقيقة وجود الجن والشياطين، وتأثيرهم على الانسان.

أولاً: الأدلة من القرآن على حقيقة السحر

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ

﴿مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٢﴾ [سورة البقرة:١٠٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧﴾ [سورة يونس:٧٧].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ٨١﴾ [سورة يونس:٨١].

وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ٦٨ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ٦٩﴾ [سورة طه:٦٧-٦٩].

وقال تعالى: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ١١٧﴾ [سورة الأعراف:١١٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ٤٥﴾ [سورة الشعراء:٤٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ [سورة الفلق:١-٥].

وبين سبحانه وتعالى حال المرابي فقال : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ [سورة البقرة:٢٧٥].

وقد أثبت الله سبحانه وتعالى وجود العلاقة بين الشياطين والانس، وأن أحمدهما مستفيد من الاخر فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨)﴾ [سورة الأنعام:١٢٨].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: "أو ليس من أعظم علومهم السحر، الذي غايته أن يعبد الإنسان شيطاناً من الشياطين، ويصوم ويصلي، ويقرب له القرابين، حتى ينال بذلك عرضاً من الدنيا، فساده أعظم من صلاحه، وأثمه أكبر من نفعه؟"(١).

يقول موسى الفيفي: "ولذا فما يرجوه الساحر والكاهن من تلك الشياطين ليس إلا من الاستمتاع فيما بينهم وهو على أقوال كما ذكر الإمام ابن الجوزي -رحمه الله- عن صور الاستمتاع(٢) فقال: "فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن استمتاع الإنس بالجن: أنهم كانوا إذا سافروا، فنزلوا وادياً، وأرادوا مبيتاً، قال أحدهم: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر أهله واستمتاع الجن بالإنس: أنهم كانوا يفخرون على قومهم، ويقولون: قد سدنا الإنس حتى صاروا يعوذون بنا، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل، والفراء.

والثاني: أن استمتاع الجن بالإنس: طاعتهم لهم فيما يغرونهم به من الضلالة والكفر والمعاصي.

واستمتاع الإنس بالجن: أن الجن زَيَّنَتْ لهم الأمور التي يهوَوْنَها، وشَّهوْها إليهم حتى سهل عليهم فعلها، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وبه قال محمد بن كعب، والزجاج.

والثالث: أن استمتاع الجن بالإنس: إغواؤهم إياهم. واستمتاع الإنس بالجن: ما يتلقَّون منهم من السحر والكهانة ونحو ذلك. والمراد بالجن في هذه الآية: الشياطين"(٣).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٦٥).

(٢) أحاديث السحر في الكتب الستة (ص/٩١).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٧٧).

ثانياً: الأحاديث الدالة على إثبات المس منها:

الحديث الأول:

عن عائشة ﵂ قالت: سَحَرَ رسول الله ﷺ رجل من بني زريق، يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «**يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلع نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان**» فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «**يا عائشة، كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رءوس نخلها رءوس الشياطين**» قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجته؟ قال: «**قد عافاني الله، فكرهت أن أثور على الناس فيه شرا**» فأمر بها فدفنت تابعه أبو أسامة، وأبو ضمرة، وابن أبي الزناد، عن هشام، وقال: الليث، وابن عيينة، عن هشام: «**في مشط ومشاقة**» يقال: المشاطة: ما يخرج من الشعر إذا مشط، والمشاقة: من مشاقة الكتان(١).

الحديث الثاني:

عن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(٢).

---

(١) صحيح البخاري كتاب الطب باب السحر (٧/ ١٣٦ رقم:٥٧٦٣)، باب هل يستخرج السحر؟ (٧/ ١٣٧ رقم:٥٧٦٥)، باب السحر (٧/ ١٣٧ رقم: ٥٧٦٦)، كتاب الادب باب قول الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ [النحل: ٩٠] (٨/ ١٨ رقم: ٦٠٦٣)، كتاب الدعوات باب ت(٨/ ٨٣ رقم:٦٣٩١)

(٢) صحيح البخاري كتاب الوصايا باب قول الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ [النساء: ١٠] (٤/ ١٠ رقم:٢٧٦٦)، كتاب الحدود باب رمي المحصنات (٨/ ١٧٥ رقم: ٦٨٥٧)، صحيح مسلم كتاب الايمان باب بيان الكبائر وأكبرها (١/ ٩٢ رقم: ٨٩).

الحديث الثالث:

عن عمران بن حصين، رضي الله عنهما قال: لا رقية إلا من عين أو حمة، فذكرته لسعيد بن جبير، فقال: حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «**عرضت علي الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رفع لي سواد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: بل هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب**» ثم دخل ولم يبين لهم، فأفاض القوم، وقالوا: نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله، فنحن هم، أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام، فإنا ولدنا في الجاهلية، فبلغ النبي ﷺ فخرج، فقال: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون» فقال عكاشة بن محصن: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «نعم» فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال: «سبقك بها عكاشة»**[1]

الحديث الرابع:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «**أمرني رسول الله ﷺ أو أمر أن يسترقى من العين**»[2].

الحديث الخامس:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول: «**إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**»[3]

الحديث السادس:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا**»[1].

---

(١) صحيح البخاري كتاب الطب باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو (٧/ ١٢٦ رقم:٥٧٠٥)، صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/ ١٩٩ رقم:٢٢٠)

(٢) صحيح البخاري كتاب الطب باب رقية العين (٧/ ١٣٢ رقم:٥٧٣٨)، صحيح مسلم كتاب السلام باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة النظرة (٤/ ١٧٢٥ رقم: ٢١٩٥/٢١٩٥).

(٣) صحيح البخاري كتاب أحاديث الانبياء باب (٤/ ١٤٧ رقم:٣٣٧١)

وجاء من حديث أبو هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «**العين حق**»[٢].

والاحاديث في هذا الباب كثيرة، دالة على تأثر الانسان من بالشياطين والسحرة، وإرشاد له في كيفية تجنبهم وطرق العلاج لمن أصابه ذلك.

---

(١) صحيح مسلم كتاب السلام باب الطب والمرض والرقى (٤/ ١٧١٩ رقم: ٢١٨٨).

(٢) صحيح البخاري كتاب الطب باب العين حق (٧/ ١٣٢ رقم:٥٧٤٠)، كتاب اللباس باب الواشمة (٧/ ١٦٦ رقم:٥٩٤٤) صحيح مسلم كتاب السلام باب الطب والمرض والرقى (٤/ ١٧١٩ رقم:٢١٨٧).

المبحث الثاني: الرد على الشبهات حول حديث سحر النبي ؑ الموجود في الصحيحين.

أولاً: التشكيك في صحة حديث عائشة ﵂

تكلم بعض المشككين في حديث عائشة -﵂- الذي سبق ذكره، وذكر عليه إشكالات من جهة إسناده.

وحاصل من تكلم في الحديث بتضعيف، أنهم اعتمدوا على كلام رشيد رضا في أن بعضهم ضعفه بسبب تحديث هشام بن عروة له في البصرة، وما رواه في البصره ففيه كلام لأنه لم يضبط تلك الأحاديث.

لكن لم ينفرد به عن هشام أصحاب العراق فقط بل رواه غيرهم، وممن رواه:

- يحيى بن سعيد القطان البصري، أخرجه البخاري(١)، والامام أحمد(٢).
- عيسى ابن يونس الكوفي، كما عند البخاري(٣)، والنسائي(٤)، وابن راهويه(٥)، وابن حبان(٦)، واللالكائي(٧).
- ابن جريج المكي، أخرجه البخاري(٨).
- أبو أسامة حماد بن أسامة الكوفي، كما عند البخاري(٩)، ومسلم(١٠) ، والامام أحمد(١١)، وأبو يعلى الموصلي(١).

---

(١) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر (٤/ ١٠١ رقم: ٣١٧٥)،

(٢) مسند أحمد (٤٠/ ٢٨٤ رقم: ٢٤٢٣٧).

(٣) صحيح البخاري كتاب الطب باب السحر (٧/ ١٣٦ رقم: ٥٧٦٣)، كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (٤/ ١٢٢ رقم:٣٢٦٨).

(٤) السنن الكبرى للنسائي (٧/ ١٠٠ رقم:٧٥٦٩).

(٥) مسند إسحاق بن راهويه (٢/ ٢٢٩ رقم:٧٣٧).

(٦) صحيح ابن حبان (١٤/ ٥٤٧ رقم:٦٥٨٤).

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/ ١٢٨٥رقم:٢٢٧١).

(٨) صحيح البخاري كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر (٧/ ١٣٧ رقم:٥٧٦٥).

(٩) صحيح البخاري كتاب الطب باب السحر (٧/ ١٣٧ رقم:٥٧٦٦).

(١٠) صحيح مسلم كتاب السلام باب السحر (٤/ ١٧٢١ رقم:٤٤).

(١١) مسند أحمد مخرجا (٤٠/ ٤٠٦ رقم:٢٤٣٤٨).

- سفيان بن عيينة، أخرجه البخاري[2]، الحميدي[3]، واللالكائي[4]، والبيهقي[5]
- أبو ضمرة أنس بن عياض المدني، أخرجه البخاري[6]، والبيهقي[7]، والبغوي[8].
- عبد الله بن نمير الكوفي، اخرجه مسلم[9]، وابن ماجه[10] ، ابن أبي شيبة[11]، والامام أحمد[12]، وابن حبان[13].
- معمر بن راشد البصري، كما عند الامام أحمد[14].
- وهيب بن خالد بن خالد البصري، أخرجه الامام أحمد[15]،
- الليث بن سعد المصري، قال الحافظ: "رويناه موصولا في نسخة عيسى بن حماد رواية أبي بكر بن أبي داود عنه"[16].
- مرجي بن رجاء البصري، أخرجه الطبراني[17].

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٨/ ٢٩٠ رقم:٤٨٨٢).

(٢) صحيح البخاري كتاب الادب بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ، وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى، وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] (٨/ ١٨ رقم: ٦٠٦٣).

(٣) مسند الحميدي (١/ ٢٦١،٢٨٧).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/ ١٢٨٥ رقم:٢٢٧٢).

(٥) معرفة السنن والآثار (١٢/ ٢٠٢ رقم:١٦٤٥٥).

(٦) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب تكرير الدعاء (٨/ ٨٣ رقم:٦٣٩١).

(٧) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٢٣٢ رقم:١٦٤٩٤)، السنن الصغير (٣/ ٢٦٥ رقم:٣١٣٠)، دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٢٤٧).

(٨) شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٨٥ رقم:٣٢٦٠).

(٩) صحيح مسلم كتاب السلام باب السحر (٤/ ١٧١٩ رقم:٢١٨٩).

(١٠) سنن ابن ماجه (٢/ ١١٧٣ رقم:٣٥٤٥).

(١١) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٤١رقم:٢٣٥١٩).

(١٢) مسند أحمد (٤٠/ ٣٤٣رقم:٢٤٣٠٠).

(١٣) صحيح ابن حبان - مخرجا (١٤/ ٥٤٥ رقم:٦٥٨٣).

(١٤) مسند أحمد (٤٠/ ٤٠٥ رقم:٢٤٣٤٧).

(١٥) مسند أحمد (٤١/ ١٩٤ رقم:٢٤٦٥٠).

(١٦) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٤٠ رقم:٣٢٦٨).

(١٧) المعجم الأوسط (٦/ ١٠١ رقم:٥٩٢٦).

- حماد بن سلمة البصري، ذكره الحافظ في التغليق[١].
- علي بن مسهر، أخرجه الطحاوي[٢].

وبهذا يتبين أن حجتهم في رد الحديث واهية لا دليل عليها بين، خارجة عن قواعد أهل الفن، قال الشيخ مقبل: "فأنت ترى أن الحديث قد رواه جماعة عن هشام بن عروة منهم البصري، ومنهم الكوفي، ومنهم المكي، ومنهم المدني، ومنهم المصري، وناهيك بحديث من رواته يحيى بن سعيد القطان، وهو في غاية من التحرّى، وهذا الحديث لم ينتقده محدث، وهم الحجة لا أصحاب الأهواء فإنّهم أعداء السنن"[٣].

مع أن دعوى ما حدّث به في العراق متكلم فيه فهذه الدعوى ليست صحيحة من كل الوجوه، فقد صرح هشام فيما حدث به عن أبيه، قال الشيخ: "وهشام بن عروة تكلم بعضهم فيما حدث بالعراق، وأنه حدث عن أبيه بما لم يسمع منه وهذا منفي هنا فإنه قد صرح بالتحديث عن أبيه، وقد قال أبو الحسن بن القطان: إن هشامًا اختلط فقال الحافظ: في "تهذيب التهذيب" ولم نر له في ذلك سلفًا"[٤].

قال الذهبي : "حجة إمام، لكن في الكبر تناقص حفظه، ولم يختلط أبدًا، ولا عبرة بما قاله أبو الحسن بن القطان من أنه وسهيل بن أبي صالح اختلطا، وتغيرا.

نعم الرجل تغير قليلاً ولم يبق حفظه كهو في حال الشبيبة، فنسي بعض محفوظه أو وهم، فكان ماذا! أهو معصوم من النسيان!

ولما قدم العراق في آخر عمره حدث بجملة كثيرة من العلم، في غضون ذلك يسير أحاديث لم يجودها، ومثل هذا يقع لمالك ولشعبة ولوكيع ولكبار الثقات، فدع عنك الخبط، وذَرْ خلط الائمة الاثبات بالضعفاء والمخلطين، فهشام شيخ الإسلام، ولكن أحسن الله عزاءنا فيك يا ابن القطان"[٥].

---

(١) تغليق التعليق (٥/ ٤٩).

(٢) شرح مشكل الآثار (١٥/ ١٧٩ رقم:٩٣٤).

(٣) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص: ٩٢).

(٤) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص:٩٢-٩٣).

(٥) ميزان الاعتدال (٤/٣٠١-٣٠٢).

وجاء في دلائل النبوة[1]، من طريق سلمة بن حيان قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا محمد بن عبيد الله، عن أبي بكر بن محمد، عن عمرة، عن عائشة -رضي الله عنها-.

قال الشيخ مقبل: "وفي سنده سلمة بن حبان البصرى ترجم له ابن ماكولا وقال: روى عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل ويوسف بن يعقوب القاضي. اهـ

وترجمه ابن أبي حاتم وقال: روى عنه علي بن الحسين بن الجنيد. ولم يذكر أنه وثقه معتبر فعلى هذا فهو مستور الحال يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات"[2]

ولابن القيم كلام قيم على الحديث حيث يقول: "وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقّى بالقبول بينهم.

لا يختلفون في صحته.

وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم، وأنكروه أشد الإنكار، وقابلوه بالتكذيب، وصنف بعضهم فيه مصنفا مفرداً، حمل فيه على هشام، وكان غاية ما أحسن القول فيه: أن قال: غلط، واشتبه عليه الأمر، ولم يكن من هذا شيء. قال: لأن النبي -ﷺ- لا يجوز أن يسحر، فإنه يكون تصديقا لقول الكفار: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [سورة الإسراء:٤٧].

قالوا: وهذا كما قال فرعون لموسى: ﴿ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾ [سورة الإسراء:١٠١].

وكما قال قوم صالح له ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾ [سورة الشعراء:١٥٣].

وكما قال قوم شعيب له﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾ [سورة الشعراء:١٨٥].

قالوا: فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا. فإن ذلك ينافي حماية الله لهم، وعصمتهم من الشياطين.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٩٢).

(٢) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص: ٩٤).

وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم، فإن هشاماً من أوثق الناس وأعلمهم، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه. فما للمتكلمين وما لهذا الشأن؟ وقد رواه غير هشام عن عائشة. وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة. والقصة مشهورة عن أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء. وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله وأيامه من المتكلمين.

وقال ابن عباس وعائشة: "كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدنت إليه اليهود، فلم يزالوا حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ، وعدّة أسنان من مشطه. فأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وتولّى ذلك لبيد بن الأعصم: رجل من اليهود. فنزلت هاتان السورتان فيه"

قال البغوي: وقيل «كانت مغروزة بالإبر. فأنزل الله عز وجل هاتين السورتين. وهما أحد عشر آية: سورة الفلق خمس آيات، وسورة الناس ست آيات فكلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها. فقام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال» قال: وروى أنه لبث فيه ستة أشهر، واشتد عليه ثلاثة أيام فنزلت المعوذتان.

قالوا: والسحر الذي أصابه كان مرضاً من الأمراض عارضاً شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك، ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء، فقد أغمى عليه ﷺ في مرضه، ووقع حين انفكّت قدمه وجحش شقّه وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته، ونيل كرامته.

وأشد الناس بلاء الأنبياء، فابتلوا من أُمَمِهم بما ابتلوا به: من القتل، والضرب، والشتم، والحبس. فليس ببدع أن يبتلى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر، كما ابتلى بالذي رماه فشجّه، وابتلى بالذي ألقى على ظهره السّلا وهو ساجد، وغير ذلك. فلا نقص عليهم. ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم، وعلو درجاتهم عند الله"(١)

---

(١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٦٣٠-٦٤١).

وحال هؤلاء الطاعنين في الحديث بالنسبة لنظرهم وعلمهم هو كما قال الشيخ مقبل الوادعي: "فإني لما كنت بمدينة رسول الله ﷺ، بلغني أن بعض الناس ينكرون حديث السحر، فقلت لمن أخبرني إنه في البخاري ومسلم. فقال: وهم ينكرونه! فقلت: بمن ضعّفوه؟ وكنت أظن أنّهم يسلكون مسالك العلماء في النقد والتجريح، لعلهم وجدوا في سنده من هو سيء الحفظ أو جاء موصولاً والراجح أنه منقطع أو جاء مرفوعًا والراجح فيه الوقف، كما هو شأن الحافظ الدارقطني رحمه الله في انتقاداته على الصحيحين، فإذا هؤلاء الجاهلون أحقر من أن يسلكوا هذا المسلك الذي لا يقوم به إلا جهابذة الحديث ونقاده، والميزان عند هؤلاء أهواؤهم، فما وافق الهوى فهو الصحيح وإن كان من القصص الإسرائيلية، أو مما لا أصل له، وما خالف أهواءهم فهو الباطل ولو كان في الصحيحين، بل ربما تجاوز بعض أولئك المخذولين الحد وطعن في بعض القصص القرآنية"(١).

وما أُنكرت كثير من السنن إلا بسبب أمثال هؤلاء من أهل الباطل، الذين يرون أنه لا سبيل لتمرير باطلهم إلا بإنكار ما يبطلها من النصوص.

شاهد لحديث عائشة في سحر النبي ﷺ:

لحديث عائشة -رضي الله عنها- شاهد عن زيد بن أرقم -رضي الله عنه-، أخرجه النسائي-واللفظ له-(٢)، وابن سعد(٣)، وابن أبي شيبة(٤)، والامام أحمد(٥)، وعبد بن حميد(٦)، والطحاوي(٧)، والطبراني(٨)، والحاكم(٩).

---

(١) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص: ٣).

(٢)سنن النسائي (٧/ ١١٢ رقم:٤٠٨٠)، السنن الكبرى (٣/ ٤٥٠ رقم:٣٥٢٩).

(٣) الطبقات الكبرى (٢/ ١٥٣).

(٤) مسند ابن أبي شيبة (١/ ٣٥١ رقم:٥١٣).

(٥) مسند أحمد (٣٢/ ١٤ رقم:١٩٢٦٧).

(٦) المنتخب من مسند عبد بن حميد (ص: ١١٥رقم:٢٧١).

(٧) شرح مشكل الآثار (١٥/ ١٨٠ رقم:٥٩٣٥).

(٨) المعجم الكبير للطبراني (٥/ ١٧٩ رقم:٥٠١١٥/ ١٨٠رقم:٥٠١٦).

(٩) المستدرك على الصحيحين (٤/ ٤٠١ رقم:٨٠٧٤).

عن زيد بن أرقم قال: " سحر النبي ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياما، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن رجلا من اليهود سحرك، عقد لك عقدا في بئر كذا وكذا، فأرسل رسول الله ﷺ، فاستخرجوها، فجيء بها، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لذلك اليهودي، ولا رآه في وجهه قط".

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

قال الشيخ مقبل: "هذا حديث صحيح، وقد اختلف على الأعمش فيه، فرواه أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حيان، كما عند الإمام أحمد، وأبو معاوية من أثبت الناس في الأعمش، وخالفه الثوري كما تقدم عند ابن سعد فرواه عن الأعمش عن ثمامة المحلمي عن زيد بن أرقم، وتابع الثوري شيبان بن عبد الرحمن عند يعقوب الفسوي في "المعرفة والتاريخ" وعند الطبراني، وتابعهما جرير وهو ابن عبد الحميد عند الطبراني في "الكبير"، فالظاهر أن أبا معاوية شذّ في هذا، لأنّ سفيان وشيبان وجرير أرجح منه والله أعلم.

وثمامة هو ابن عقبة المحلمي الكوفي وثّقة ابن معين والنسائي، كما في "تهذيب التهذيب"(١)، ويزيد بن حيان وثّقه النسائي كما في "تهذيب التهذيب"(٢)، فالحديث صحيح سواء أقلنا: إنّ أبا معاوية شذّ فيه أم إن للأعمش شيخين، والله أعلم.

وقد قال الهيثمي في "المجمع": قلت: رواه النسائي باختصار، ورواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح(٣).

وقد جاء في بعض طرقه كما ترى أنّ الذي سحر النبي ﷺ رجل من الأنصار، فتعقّب الحافظ ابن كثير رحمه الله هذا في "البداية والنهاية" فقال: قلت: والمشهور أنّ لبيد بن الأعصم اليهودي هو الذى سحر النبي ﷺ"(٤).

---

(١) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٩ رقم:٥٠).

(٢) تهذيب التهذيب (١١/ ٣٢١ رقم:٥٢٠).

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ٢٨١ رقم:١٠٦٩١).

(٤) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص: ٩٦).

ثانياً: المعنى الاجمالي لحديث عائشة.

دل الحديث على تعرض النبي ﷺ للسحر وتأثيره عليه، وهذا هو المدخل الذي تمسك به منكرو هذا الحديث إذ كيف يؤثر ذلك السحر على النبي -ﷺ- والله قد عصمه، ومنبع الإشكال لدى هؤلاء هو تصورهم الخاطئ لمعنى الحديث —مع أن جميع هذه الاشكالات ستناقش- مع الحكم المسبق لدى بعضهم من انكار حقيقة السحر، وقد لخص المعلمي المراد بالحديث في الأضواء حيث قال: "والكلام على ذلك في مقامات:

المقام الأول: ملخص الحديث بأنه صلى الله عليه وسلم في فترة من عمره ناله مرض خفيف ذكرت عائشة أشد اعراضه بقولها «حتى كان يرى أنه يأتي أهله ولا يأتيهم» وفي رواية «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن» وفي أخرى «يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله» ، ولرواية الأولى فيما يظهر أصح الروايات فالأخريان محمولتان عليها ... وفي فتح الباري «قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، أن يجزم بفعله لذلك، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت» أقول: وفي سياق الحديث ما يشهد لهذا، فغن فيه شعوره صلى الله عليه وسلم بذاك المرض ودعاءه ربه أن يشفيه» فالذي يتحقق دلالة الخبر عليه أن صلى الله عليه وسلم كان في تلك الفترة يعرض له خاطر أنه قد جاء إلى عائشة وهو صلى الله عليه وسلم عالم أنه لم يجئها ولكنه كان يعاوده ذاك الخاطر على خلاف عادته، فتأذى صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وليس في حمل الحديث على هذا تعسف ولا تكلف.

المقام الثاني: في الحديث عن عائشة «حتى إذاكان ذات يوم وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال: يا عائشة أشرت أن الله أفتاني فيما استفتنيه فيه؟ أتاني رجلان (أي ملكان - كما في رواية أخرى- في صورة رجلين) .. فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان. فأتاها رسول الله صلى الله٩ عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء.. قلت يا رسول الله أفلا تستخرجه؟ قال قد عافاني الله، فكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمرت بها فدفنت»

ومحصل هذا أن لبيد أراد الحاق ضرر بالنبي صلى الله عليه وسلم فعمل عملاً في شط ومشاطة الخ، فهل من شأن ذلك أن يؤثر؟

قد يقال: لا، ولكن إذا شاء الله تعالى خلق الأثر عليه؛ والأقرب من ذلك: نعم بإذن الله، والإذن هنا خاص. وبيانه أن الأفعال التي من شأنها أن تؤثر ضربان: الأول ما أذن الله تعالى بتأثيره إذناً مطلقاً ثم إذا شاء منعه، وذلك كالإتصال بالنار مأذون فيه بالإحراق إذنا مطلقاً، فلما أراد الله تعالى منعه ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الأنبياء:٦٩]، من التأثير رفع المنع فيؤثر. وقوله تعالى في السحر ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، يدل أنه من الضرب الثاني، وأنا المراد بالإذن الإذن الخاص، والحكمة في مصلحة الناس تقتضي هذا، والواقع في شئونهم يشهد له، وإذ كان هذا حاله فلا غرابة في خفاء وجه التأثير علينا"(١).

ثم تكلم على بعض الاشكالات التي يوردها البعض على ألفاظ الحديث فقال: "أما صحته فثابتة بإثبات أئمة الحديث لها، فإن أراد الصحة في نفس الأمر فهب أنا لا نقطع بها ولكنا نظنها ظناً غالباً، وعلى كل الحالين فواضعو تلك القاعدة لا ينكرون أنه يفيد الظن، ومن أنكر ذلك فهو مكابر، وإذا أفاد الظن فلا مفر من الظن وما يترتب على الظن، فلم يبق إلا أنه لا يفيد القطع، وهذا حق في كل دليل لا يفيد إلا الظن.

القضية الثانية: أنه مناف للعصمة في التبليغ قال «فإنه قد خالط عقله وإدراكه في ز عمهم.. فإنه إذا خولها.. في عقله كما زعموا جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً وهو لم يبلغه، أو أن شيئاً ينزل عليه وهو لم ينزل عليه»

أقول: أما المتحقق من معنى الحديث كما قدمنا في المقام الأول فليس فيه ما يصح أن يعبر عنه بقولك: «خولط في عقله» وإنما ذاك خاطر عابر، لو فرض أنه بلغ الظن فهو في أمر خاص من أمور الدنيا لم يتعده إلى سائر أمور الدنيا فضلاً عن أمور الدين، ولا يلزم من حدوثه في ذاك الأمر جوازه في ما يتعلق بالتبليغ بل سبيله سبيل ظنه أن النخل لا يحتاج إلى التأبير، وظنه بعد أن صلى ركعتين أنه صلى أربعاً وغير ذلك من قضايا السهو في الصلاة،

---

(١) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص:٢٤٩-٢٥٠).

وفي القرآن ذكر غضب موسى على أخيه هارون وأخذ برأسه لظنه انه قصر مع أنه لم يصر، وفيه قول يعقوب لبنيه لما ذكروا له ما جرى لابنه الثاني: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [سورة يوسف:٨٣]، يتهمهم بتدير مكيدة مع أنهم حينئذ أبرياء صادقين. وقد يكون من هذا بض كلمات موسى للخضر. وانرظ قوله تعالى عن يونس: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأنبياء:٨٧]"(١).

(١) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص: ٢٥١).

ثالثاً: السحر وحقيقته.

جماهير أهل السنة والجماعة، أن للسحر حقيقة، وله تأثير، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة البقرة:١٠٢].

وجه الاستدلال: الآية تدل على أن للسحر حقيقة من وجوه الأول: أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر فيها عن السحر وأنه مما يعلم ويتعلم وأن متعلمه يكفر بذلك وهذه الصفات لا تكون إلا لماله حقيقة، مما يدل على أن له حقيقة(١).

الثاني: أن الله تعالى قد أخبر في هذه الآية بأن للسحر آثاراً محسوسة كالتفريق بين المرء وزوجه والأثر دليل على وجود المؤثر وأن له حقيقة(٢)

الثالث: كما أخبر الله تعالى في هذه الآية بأن للسحر ضرراً لا يتحقق إلا بإذنه، والاستثناء دليل على حصول الآثار بسببه والضرر أو الأثر لا يكون إلا مماله حقيقة(٣) (٤)"

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٤).

(٢) انظر تفسير القرطبي (٤٦/٢)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ص١٧٤) أضواء البيان (ج٤ ص٤٣٧)

(٣) تفسير الرازي (٣ /٢١٣).

(٤) حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة (ص: ١٥١).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [سورة البقرة:٢٧٥]. وقد تقدم إيراد بعض الأدلة.

قال المازري: "أهل السنة وجمهور العلماء من الأمة؛ على إثبات السّحر وأن له حقيقةً كحقائق غيره من الأشياء الثابتة، خلافاً لمن أنكره ونَفَى حقيقته وأضاف ما يتّفق منه إلى خَيَالاتٍ باطلةٍ لا حقائق لها، وقد ذكره الله ﷻ في كتابه العزيز وذكر أنّه مما يتَعَلَّم، وذكر ما يشير إلى أنّه مما يكفَّر به وأنّه يفَرَّق به بين المرء وزَوجِه وهذا كلُّه مما لا يمكن أن يكون فيما لا حقيقة له وكيف يتعلّم ما لا حقيقة له"(١).

قال ابن القيم: "وقد دل قوله: مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ وحديث عائشة المذكور على تأثير السحر، وأن له حقيقة"(٢).

وعالم الجن عالم غيبي لا يمكن الاطلاع على حقيقته الكاملة إلا من خلال النصوص لخفائه وقال الشنقيطي: "لما جاء القرآن العظيم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله كان جميع الطرق التي يراد بها التوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحي من الضلال المبين وبعض منها يكون كفرا"(٣).

قال الالباني في السلسة "منهج أهل السنة و الجماعة التوقف في المسائل الغيبية عندما ثبت عن رسول الله ﷺ، و أنه ليس لأحد مهما كان شأنه أن يضيف تفصيلا ، أو أن ينقص ما ثبت بالدليل ، أو أن يفسر ظاهر الآيات وفق هواه ، أو بلا دليل"(٤).

وقال الشيخ ناصر العقل: "الجن غيب خالص" (٥).

---

(١) المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٥٨).

(٢) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٦٣٤).

(٣) أضواء البيان (١/ص٤٨١).

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ١٠٠٤).

(٥) دروس الشيخ ناصر العقل (١٢/ ٢٣، بترقيم الشاملة آليا).

وقد أنكرت بعض الطوائف أمثال المعتزلة حقيقة السحر، زاعمين أن اثباته يحصل خلط بين المعجزة والسحر قال ابن القيم: "وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم.

وقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض، ولا قتل، ولا حل، ولا عقد.

قالوا: وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين، لا حقيقة له سوى ذلك.

وهذا خلاف ما تواترت به الآراء عن الصحابة والسلف، واتفق عليه الفقهاء، وأهل التفسير والحديث. وما يعرفه عامة العقلاء.

والسحر الذي يؤثر مرضاً وثقلاً وعقداً وحباً وبغضاً ونزيفاً وغير ذلك من الآثار موجود، تعرفه عامة الناس. وكثير منهم قد علمه ذوقا بما أصيب به منه، وقوله تعالى: وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ دليل على أن هذا النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه، ولو كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة البدن ظاهرا، كما يقوله هؤلاء. لم يكن للنفث ولا للنفاثات شر يستعاذ منه.

وأيضا فإذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناظرين مع كثرتهم حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به، مع أن هذا تغيير في إحساسهم، فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم؟ وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير الواقع في صفة أخرى من صفات النفس والبدن؟ فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركا، والمتصل منفصلا، والميت حيا، فما المحيل لأن يغير صفات نفسه، حتى يجعل المحبوب إليه بغيضا، والبغيض محبوبا، وغير ذلك من التأثيرات. وقد قال تعالى عن سحرة فرعون إنهم:﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة الأعراف:١١٦]. فبين سبحانه أن أعينهم سحرت. وذلك إما أن يكون لتغيير حصل في المرئي، وهو الحبال والعصيّ، مثل أن يكون السحرة استغاثت بأرواح حركتها، وهي الشياطين. فظنوا أنها تحركت بأنفسها. وهذا كما إذا جرّ من لا تراه حصيرا أو بساطا فترى الحصير والبساط ينجر، ولا ترى الجار له، مع أنه هو الذي يجره، فهكذا حال الحبال والعصي التبستها الشياطين، فقلبتها كتقليب الحية. فظن الرائي أنها تقلبت بأنفسها، والشياطين هم الذين يقلبونها. وإما أن يكون التغيير حدث في الرائي. حتى رأى الحبال

والعصي تتحرك، وهي ساكنة في أنفسها. ولا ريب أن الساحر يفعل هذا وهذا، فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه، حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به، وتارة يتصرف في المرئي باستغاثته بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف فيها.

وأما ما يقوله المنكرون: من أنهم فعلوا في الحبال والعصي ما أوجب حركتها ومشيها، مثل الزئبق وغيره، حتى سعت. فهذا باطل من وجوه كثيرة. فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالا، بل حركة حقيقية. ولم يكن ذلك سحرا لأعين الناس، ولا يسمى ذلك سحرا، بل صناعة من الصناعات المشتركة. وقد قال تعالى:﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة طه:٦٦]. ولو كانت تحركت بنوع حيلة- كما يقوله المنكرون- لم يكن هذا من السحر في شيء. ومثل هذا لا يخفى.

وأيضا لو كان ذلك بحيلة- كما قال هؤلاء- لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزيبق. وبيان ذلك المحال ولم يحتج إلى إلقاء العصا لابتلاعها.

وأيضا: فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة، بل يكفي فيها حذاق الصناع. ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة، وخضوعه لهم، ووعدهم بالتقريب والجزاء.

وأيضا: فإنه لا يقال في ذلك ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [سورة طه:٧١]. فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها.

وبالجملة: فبطلان هذا أظهر أن يتكلف رده"(١)

وكما ذكرنا فإن من شبههم العقلية أن اثبات السحر فيه خلط بينه وبين المعجزة والكرامة، وبهذا نبطل دعوى الانبياء، يقول الرازي: "أنا لو جوزنا ذلك لتعذر الاستدلال بالمعجزات على النبوات لأنا لو جوزنا استحداث الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية لم يمكنا القطع بأن هذه الخوارق التي ظهرت على أيدي الأنبياء عليهم

---

(١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٦٣٤-٦٣٦).

السلام صدرت عن الله تعالى، بل يجوز فيها أنهم أتوا بها من طريق السحر، وحينئذ يبطل القول بالنبوات من كل الوجوه"(١).

والجواب على ذلك يقول الدكتور عواد المعتق: " يقال لهم العادة تنخرق على يد النبي والولي والساحر.

ولكن النبي يتحدى بها الخلق ويستعجزهم عن مثلها ويخبر عن الله تعالى بخرق العادة بها لتصديقه فلو كان كاذباً لم تنخرق العادة على يديه. ولذا لا يمكن معارضته بمثله أو أقوى منه؛ إذ إنّه ليس في مقدور الجن والإنس.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٨٨].

أما الولي والساحر: فلا يتحديان الخلق ولا يستدلان على نبوة ولو ادعيا شيئاً من ذلك لم تنخرق العادة لهما.

وأما الفرق بين الولي والساحر فمن وجوه منها:

الأول: وهو المشهور، إجماع المسلمين على أن السحر لا يظهر إلا على فاسق أو كافر، والكرامة لا تظهر إلا على ولي.

الثاني: أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم لساحر ما يريد.

والكرامة لا تفتقر إلى شيئ من ذلك. وفي كثير من الأوقات تقع الكرامة اتفاقا من غير أن يستدعيها أو يشعر بها.

الثالث: أن ما يأتي به السحرة، يمكن معارضته بمثله وأقوى منه كما هو الواقع بخلاف الكرامات فهي كالمعجزات لا يمكن لأحد أن يعارضها بمثلها أو أقوى منها.

الرابع: إن مايأتي به السحرة لا يخرج عن كونه مقدوراً للإنس والجن بخلاف الكرامات فهي كالمعجزات لا يقدر عليها إلا الله"(٢).

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/ ٦٢٠).

(٢) حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة (ص: ١٦٠)، نقلا عن: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/١٧٥-١٧٦)، النبوات لابن تيمية (٢٨١-٢٨٢)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٣).

ومن الشبهة التي ذكرها الرازي قوله: "لو جوزنا أن يكون في الناس من يقدر على خلق الجسم والحياة والألوان لقدر ذلك الإنسان على تحصيل الأموال العظيمة من غير تعب، لكنا نرى من يدعي السحر متوصلا إلى اكتساب الحقير من المال بجهد جهيد"[1].

وقد أجاب الدكتور ذلك بقوله: "يقال لهم هذه الشبهة باطلة ولا تلزمنا لأنا لم نطلق الحكم بحصول كل تأثير مهما كان، بل قلنا في نطاق معين لا يتجاوز التصرف في الأعراض من باب التأثير على القلوب بالحب والبغض وعلى الأبدان بالألم والسقم.

أما أن يقلب الجماد حيواناً أو عكسه أو الحديد ذهباً أو نحوه فليس في مقدور الساحر"[2].

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/ ٦٢٠).

(٢) حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة (ص: ١٦١)، نقلا عن فتح الباري (١٠/٢٢٣).

ثالثاً: سحر النبي ﷺ يتنافى مع عصمته ﷺ.

احتجوا بقول الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [سورة المائدة:٦٧]، على أن سحر النبي ﷺ يتنافى مع عصمته التي أخبر الله عنها وتكفل بها، وهذا استدلال باطل من وجوه:

أولاً: أن هذه الآية نزلت متأخرة بعد حادثة السحر، وقد جاء الكلام على سبب نزولها في غير هذا المبحث فليرجع إليه.

ثانياً: ما ذكروا العلماء واتفقوا عليه أنه ﷺ قد سحر وكسرت رباعيته، وشج رأسه.

ثالثاً: ما تقرر سابقاً من أن العصمة المرادة هي العصمة من القتل والتلف، خاصة إذا علمنا أن سياق الآية تتكلم على موضوع الرسالة، فبدأ بالبلاغ ثم عقب بالعصمة في هذا البلاغ، وإلا فرسول الله ﷺ بشر يصيبه ما يصيب غيره من البشر، قال تعالى : : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾ [سورة فصلت:٦].

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال صلى النبي -ﷺ- قال إبراهيم: لا أدري زاد أو نقص - فلما سلم قيل له: يا رسول الله، أحدث في الصلاة شيء؟ قال: «**وما ذاك**»، قالوا: صليت كذا وكذا، فثنى رجليه، واستقبل القبلة، وسجد سجدتين، ثم سلم، فلما أقبل علينا بوجهه، قال: «**إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به، ولكن إنما**

أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته، فليتحر الصواب فليتم عليه، ثم ليسلم، ثم يسجد سجدتين»(١).

وعن سهل بن سعد، أنه سأل عن جرح رسول الله ﷺ، فقال: "أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كان يسكب الماء، وبما دووي، قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تغسله، وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير، فأحرقتها وألصقتها، فاستمسك الدم، وكسرت رباعيته يومئذ، وجرح وجهه، وكسرت البيضة على رأسه"(٢).

وقد فسر العلماء -رحمهم الله- العصمة بعصمته في تبليغ الرسالة قال ابن عطية: "وهذه العصمة التي في الآية هي من المخاوف التي يمكن أن توقف عن شيء من التبليغ كالقتل والأسر والأذى في الجسم ونحوه، وأما أقوال الكفار ونحوها فليست في الآية"(٣).

قال ابن الجوزي: "فان قيل: فأين ضمان العصمة وقد شُجَّ جبينه، وكسِرت رَباعيته، وبولغ في أذاه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسرِ وتلفِ الجملة، فأمّا عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجملة"(٤).

قال النووي: " وفي هذا وقوع الانتقام والابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لينالوا جزيل الأجر ولتعرف أممهم وغيرهم ما أصابهم ويتأسوا بهم قال القاضي وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات وتلبيس الشيطان من أمرهم مالبسه على النصارى وغيرهم"(٥).

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب التوجه نحو القبلة حيث كان (١/ ٨٩ رقم:٤٠١) كتاب الايمان والنذور باب إذا حنث ناسيا في الأيمان (٨/ ١٣٦ رقم:٦٦٧١)، صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضيع الصلاة باب السهو في الصلاة والسجود له (١/ ٤٠٠ رقم:٥٧٢).

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي باب (٥/ ١٠١ رقم:٤٠٧٥).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢١٨).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٦٩).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٢/ ١٤٨).

وأما ما يتعلق بسحره -ﷺ- فقد أجاب العلماء بأجوبة شافية على مثل هؤلاء المرتابين، يقول القاضي عياض: " وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم؟ فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتدرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبسا وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشئ ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شئ من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا الفضل الحديث الآخر من قوله (حتى يخيل إليه أنى يأتي أهله ولا يأتيهن) وقد قال سفيان: هذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خير منها أنه نقبل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر وتخييلات.

وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشئ أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة، هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث مع

ما أوضحنا من معني كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير، وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر، وروي نحوه عن الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه (الحديث) ، قال عبد

الرزاق: حبس رسول الله ﷺ عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره، وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة، فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه ويكون معني قوله: يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، أي: يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذه السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض، ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله: وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قوله عائشة في الرواية الأخرى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشئ وما فعله من باب اما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشئ طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا"(١).

قال ابن القيم: "وأما قولكم: إن سحر الأنبياء ينافي حماية الله لهم فإنه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم، فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته، وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس، فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء، صبروا ورضوا، وتأسّوا بهم، ولتمتلئ صاع الكفار فيستوجبون ما أعدّ لهم من النكال العاجل، والعقوبة الآجلة، فيمحقهم بسبب بغيهم وعدوانهم، فيعجل تطهير الأرض منهم. فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم. وله الحكمة البالغة، والنعمة السابغة لا إله غيره، ولا رب سواه"(٢).

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني (٢/ ١٨١-١٨٣).

(٢) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٦٣٤).

رابعاً: سحر النبي -ﷺ- يؤثر على الوحي والنبوة، ويتنافى مع ما أخبرالله به.

من الشبهة التي ذكرها بعض منكرو حديث سحر النبي ﷺ، أن هذا يتناقض مع القرآن، وأنه يصدق طعون أعداء الاسلام وفيه موافقة للمشركين في هذه الدعوى، وكثيرا ما نسمع من هؤلاء مثل هذا الكلام الذي أنكروا بسببه ما صحت به الاثار، وتواترت به الاخبار.

يقول الشيخ مقبل راداً على مثل هؤلاء: "وليست هذه بأول انْهزامية للمعاصرين أمام أهل الباطل، وما أكثر المعجزات التي أنكروها، لأن عقول أعداء الإسلام لا تتقبّلها، وما أكثر الأحكام التي حرّفوها أو ردوها، لأنّها لا تتمشى مع ما عليه المجتمع، وما أوتي هذا القائل المسكين إلا من قبل نفسه، إذ قد نبذ المسكين كلام الصحابة، وكلام أهل التفسير، وكلام الفقهاء، وكلام المحدثين، وزعم أنه يعتمد على نفسه وهو جاهل باللغة العربية وبغيرها من الوسائل، ولسنا ندعوه إلى تقليد هؤلاء الأئمة رحمهم الله، ولكن إلى الاستفادة من فهمهم، وإلا فالتقليد في الدين محرم، وقد ذكرت جملة من الأدلة في كتابي المخرج من الفتنة وأنا ذاكر لك كلام بعض المفسرين حول هذه الآية:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في الكلام على قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [سورة الفرقان:٨].

قال الله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الفرقان:٩]، جاءوا بما يقذفونك به، ويكذبون به عليك من قولهم: ساحر، مسحور، مجنون، كذّاب، شاعر، وكلها أقوال باطلة كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم في ذلك"(١)

والحافظ ابن كثير هو الذي ذكر حديث السحر في تفسير سورة الفلق محتجًا به رحمه الله.

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٩٥).

والشوكاني هو الذي ذكر حديث السحر في تفسير سورة الفلق، لعلم هذين المفسريْن رحمهما الله بأنه لا تعارض بين الحديث وبين الآيتين، لأن الحديث يحمل على ما وجّهه الإمام القاضي عياض والحافظ ابن حجر وغيرهما من علماء الإسلام، والحديث قد تلقّاه علماء الإسلام بالقبول، فقد اتفق على إخراجه البخاري ومسلم، وما اتفقا عليه فهو أعلى مرتبة في الصحة كما في كتب المصطلح، ثم لم ينتقده الدارقطني ولا أبو مسعود الدمشقي، ولا أبو علي الجياني، ولا أبو محمد بن حزم، ممن تصدى لنقد بعض الأحاديث المعلة التي في الصحيحين، ولسنا نتوقع من علماء الكلام وغيرهم من ذوي الزيغ أن يعظموا سنة رسول الله ﷺ"(١).

أما قولهم أن اثبات السحر فيه خوف أن يدخل النبي ﷺ في الوحي ما ليس منه فهذا كلام غير صحيح ولا يقول به إلا من لم يعرف حققة النصوص والجمع بينها ودلالة لفظها، قال ابن حجر: "لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى على هذا للملحد حجة وقال عياض يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود ويكون قوله في الرواية الأخرى حتى كاد ينكر بصره أي صار كالذي أنكر بصره بحيث إنه إذا رأى الشيء يخيل أنه على غير صفته فإذا تأمله عرف حقيقته ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولا فكان بخلاف ما أخبر به وقال المهلب صون النبي صلى الله عليه وسلم من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده فقد مضى في الصحيح أن شيطانا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام أو عجز عن بعض الفعل أو حدوث تخيل لا يستمر بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين"(٢).

---

(١) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص: ٤٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٧).

يقول المازري: "وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث من طريق ثابتة وَزَعَموا أنّه يحطّ مَنصِب النُّبوة ويشكّك فيها وَكلُّ مَا أدَّى إلى ذلك فهو بَاطل وزَعَموا أن تجويز هذا يعدم الثقّة بما شرعوه من الشرائع ولعله يتخيل إليه جبريل –عليه السلام– ولَيس ثمّ ما يراه أو أنّه أوحى إليه وَمَا أوحِيَ إلَيه وهذا الذي قالوه باطل وذلك أنّ الدّليل قد قام على صدقه فيما يبلّغه عَنِ الله سبحانه وعلى عصمته فيه والمعجزة شاهدة بصدقه وتجويزُ ما قام الدّليل على خلافه باطل، ومَا يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بِسَبَبِهَا ولا كان رسولا مفضّلا من أجلِهَا هو في كثير منه عرضة لما يعترِض البشَر فَغير بعيد أن يخيّل إليه في أمور الدّنيا ما لا حقيقة له، وقد قال بعض النّاس إنَّما المراد بالحديث أنّه كان يخيّل إليه أنه وطِىءَ زوجاتِهِ وليس بواطىء وقد يَتَخَيَّل في المنام للإنسان مثل هذا المعنى ولا حقيقة له"(١)

يقول الشيخ أبو شهبة: "قياس أمور الوحي والرسالة على أمور الدنيا قياس مع الفارق، فإنه بالنسبة لأمور الدين معصوم من الخطأ والتغيير والتبديل ولا عصمة له في أمور الدنيا فللرسول اعتباران: اعتبار كونه بشرا، واعتبار كونه رسولاً، فبالاعتبار الأول يجوز عليه ما يجوز على سائر البشر ومنه أن يسحر، وبالاعتبار الثاني لا يجوز عليه ما يخل بالرسالة لقيام الدليل على العصمة منه، ثم ما رأى المنكرين للحديث فيما ثبت في القرآن الكريم منسوبا إلى موسى عليه السلام من أنه تخيل في حبال السحرة وعصيهم أنها حيات تسعى، فهل ينكرون القرآن المتواتر؟ وإذا كان لا مناص لهم من التسليم بما جاء به القرآن فلم اعتبروا التخيل في حديث السحر منافيا للعصمة ولم يعتبروه في قصة موسى – عليه الصلاة والسلام – منافيا للعصمة؟

لقد شاء الله –سبحانه وتعالى– أن يبتلي أنبياءه بشتى أنواع الابتلاء ليعلم الناس أنهم بشر مثلهم فلا يرفعوهم إلى مقام الألوهية، وليزداد ثواب الأنبياء وتعظم منازلهم عند الله بما يقاسون في سبيل تبليغ الدين والرسالات"(٢).

وقد بين المعلمي(١) الفرق بين ما ذكره المشركون من السحر وهو الذي ذكر في القران، وبين ما أصاب النبي ﷺ بكلام جميل فقال: "القضية الثالثة: دعوى أن الحديث

---

(١) المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٥٩).

(٢) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين ط مجمع البحوث (١/ ٢٥٣).

مخالف للقرآن (في نفيه السحر عنه -ﷺ- وعده من افتراء المشركين عليه ... مع أن الذي قصده المشركون ظاهر، لأنهم كانوا يقولون: إن الشيطان يلابسه عليه السلام، وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه، وهو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى لبيد ... وقد جاء بنفي السحر عليه السلام حيث نَسَب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعداءه ووبخهم على زعمهم هذا، فإذا هو ليس بمحسور قطعاً".

أقول: كان المشركون يعلمون أنه لا مساغ لأن يزعموا أنه ﷺ يفتري-أي يتعمد- الكذب على الله -ﷻ- فيما يخبر به عنه، ولا لأنه يكذب في ذلك مع كثرته غير عامد، فلجأوا إلى محاولة تقريب هذا الثاني. بزعم أن له اتصالاً بالجن، وأن الجن يلقون إليه ما يلقون فيصدقهم ويخبر الناس بما ألقوه إليه، هذا مدار شبهتهم، وهو مرادهم بقولهم: به جنة. مجنون. كاهن. ساحر. مسحور. شاعر، كانوا يزعمون أن للشعراء قرناء من الجن تلقي إ ليهم الشعر فزعموا أن شاعر أي أن الجن تلقي إليه كما تلقى إلى الشعراء ن ولم يقصدوا أنه يقول للشعر. أو أن القرآن شعر.

إذ عرف هذا فالمشركون أرادوا بقولهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الإسراء:٤٧]. أن أمر النبوة كله سحر، وأن ذلك الشيء عن الشياطين استولوا عليه- بزعمهم- يلقون إليه القرآن ويأمرونه ويفهمونه فيصدقهم في ذلك كله ظاناً أنه إنما يتلقى من الله وملائكته. ولا ريب أن الحال التي ذكر في الحديث عروضها له ﷺ لفترة خاصة ليست هي هذه التي زعمها المشركون، ولا هي من قبلها في شيء من الأوصاف المذكورة إذن تكذيب القرآن وما زعمه المشركون لا يصح أن يؤخذ منه نفيه لما في الحديث.

فإن قيل قد أطلق لى تلك الحالة أنها سحر، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: «سحر رسو ل الله ﷺ رجلٌ ... » والسحر من الشياطين، وقد قال الله تعالى للشيطان ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الحجر:٤٢].

---

(١) كلام المعلمي رحمه الله في معرض الرد على محمد عبده في انكاره لحديث سحر النبي ﷺ، وقد أنكره محمد عبده وأغلظ في ذلك، ثم جاء محمد رشيد وتكلم على الحديث لكنه لم يرده إجمالاً وإنما ذهب إلى تأويل إلى أنه من سحر التخييل، الذي لا حقيقة له وأن السحر خاص في حجزه ﷺ عن نساءه، أي عقد أو ربط الرجل عن زوجته.

قلت: أما الذي أخبر به النبي ﷺ عن الملك فإنّما سمّاها (طبًّا) كما مرَّ في الحديث، وقد أنشد ابن فارس في مقاييس اللغة:

فإن كنتُ مطبوبًا فلا زِلتُ هكذا   وإن كنتُ مسحورًا فلا برأ السحرُ

وأقل ما يدل عليه هذا: أن الطّبّ أخصّ من السحر، وأن من الأنواع التي يصاب بها الإنسان ويطلق عليها سحر ما يقال له: «**طب**» وما لا يقال:«**طب**»، وعلى كل حال فالذي ذكر في الحديث ليس من نوع ما زعمه المشركون، ولا هو من ملابسة الشيطان، وإنما هو أثر نفس الساحر وفعله، وقد قدمت أن وقوع أثر ذلك نادر فلا غرابة في خفاء تفسيره"(١).

والناظر إلى كلام المنكرين يجد أنهم بنوا هذا الإنكار على أمر آخر اقتنعوا فيه وانطلقوا منه، فالبعض منكر لحقيقة السحر أصلاً أمثال محمد عبده ومن تبعه على هذا المنهج، فذهبوا إلى تأويلات باطلة لما جاء في نصوص القرآن، أما السنة فالأمر بالنسبة لهم هين فبأنكار كل ما لم يوافق هواهم تخلصوا من جميع النصوص الدالة على باطلهم بمزاعم باطلة، وأدلة واهية، فما جاء متواتراً، متفق على نسبته إلى النبي ﷺ متوافق مع ما جاء في القران، ردوه بحجة مخالفة العقل، وما كان من هذا القبيل ورأوا فيه تعارضاً ظاهرياً -بحسب عقولهم القاصرة- ردوه بحجة معارضته للقران، والكلام يطول في ذلك، لكن المحصلة أنه ليس لهم ضابط معين يحاكموا إليه، عدا ضابط الهوى والجهل والتقليد -والعياذ بالله-.

إضافة إلى ذلك الأسلوب غير المناسب من قبل هؤلاء في التعامل مع النصوص، من خلال السخرية بالنصوص، والتعامل مع المخالف باستهزاء وازدراء، وليس هذا بأسلوب من يريد الحق ويطلبه، بل أشبه ما يكون بأسلوب الجهلة، اصحاب البضاعة المزجاة التي لا تروج إلا بالتهريج والسفسطة.

---

(١) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص: ٢٥٣).

الخلاصة:

وبعد حمد لله أولاً وآخراً، وصلاة وسلاما على نبيه المصطفى، فإنه من خلال ما مضى يتلخص الآتي:

- أن السحر ثابت بالأدلة القطعية من نصوص الكتاب والسنة.
- أن السحر حق وله تأثير، كما أخبر الله عنه بذلك، فيفرق بين المرء وزوجه، ولو لم يكن كذلك لما احتاج الى تعليم، والأثر دليل على وجود المؤثر وأن له حقيقة.
- تحذير الله منه أنه كفر دليل على وجوده وحقيقته، وكذلك عد النبي ﷺ له من الموبقات، ولو كان مجرد علوم كيمائية، وتخيلات بصرية فقط، لما جاء هذا التشنيع المغلظ عنه.
- حقيقة وجود علاقة بين الانس والجن: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة الأنعام:١٢٨]. ولا عبرة بمن ذهب إلى إنكاره إذ لا دليل له على ذلك، إلا الظن، والتأويل الفاسد.
- أن السحر منه ما هو تخيلي ومنه ما هو حقيقي يؤثر في الابدان.
- أن تعلم السحر محرم بدلالة نصوص الشرع.
- أن أكثر عالم الجن عالم غيبي، لا يمكن التعرف عليه إلا من خلال النصوص.
- صحة حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ سحر، وقد سحره لبيد، وقد أخرجه الشيخان، وبقية أصحاب كتب السنة، ولم يشكك أو يطعن فيه أحد ممن يعتمد قوله من أهل العلم.
- لم ينفرد أصحاب العراق بالرواية عن هشام، فقد رواه عنه العراقي، والمدني، والمكي، والمصري، واليمني، وغيرهم من الرواة، وبذلك ينتفي عنه تشغيب من قال ان أحاديثه في العراق متكلم فيها.

- مع صحة حديث هشام عن عائشة ﵂ فإن له متابعة من طريق أبي بكر بن محمد عن عمرة، عن عائشة ﵁.
- كذلك لحديث عائشة ﵂ شاهد من حديث زيد بن أرقم ﵁، دال على عدم تفرد عائشة بالحديث.
- لا تعارض بين عصمة النبي ﷺ، وبين تعرضه للسحر، كون السحر من الاعراض والامراض التي يتعرض لها أي بشر، ولم يؤثر ذلك على الوحي أبداً.
- هناك فرق بين المعجزة والكرامة، والسحر، ولا لبس بينهما أو خلط.
- أراد المشركون بقولهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الإسراء:٤٧]. أن أمر النبوة كله سحر، وأن ذلك الشيء عن الشياطين استولوا عليه- بزعمهم- يلقون إليه القرآن ويأمرونه ويفهمونه فيصدقهم في ذلك كله ظاناً أنه إنما يتلقى من الله وملائكته. ولا ريب أن الحال التي ذكر في الحديث عروضها له ﷺ لفترة خاصة ليست هي هذه التي زعمها المشركون، ولا هي من قبلها في شيء من الأوصاف المذكورة إذن تكذيب القرآن وما زعمه المشركون لا يصح أن يؤخذ منه نفيه لما في الحديث.